القرآن وعلي والصحابة

د. طه حامد الدليمي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : القرآن وعلي والصحابة

المؤلف : د. طه حامد الدليمي

رقم الإيداع :

الطبعة الثانية ٢٠١١



Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على نبيه الأمين.. محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

وبعد..

فهذه آيات بينات من آي الذكر الحكيم، وكلمات نيرات مما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ في كتاب (نهج البلاغة)، قالها في صحابة رسول الله ﷺ. كتبتها حبا في الحق، وتأليفا للقلوب. عسى الله تبارك وتعالى أن يحقق غايتنا، فيجمع هذه الأمة على ما فيه الخير، ويرشدها إلى الصواب إنه سميع قريب.

اللطيفية

١٩٩٤

عدالة الصحابة

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣] .

وسطاً: أي عدلا . قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي أعدلهم. وقال زهير:

همو وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

والمخاطبون بهذه الآية – كما هو واضح – أصحاب رسول الله ﷺ : إذ هم الذين شهدوا التنزيل ، وعليهم قرئت ، وفي صلاتهم تليت . فهذه شهادة من الله أحكم الحاكمين بعدالتهم التي بها استحقوا أن يكونوا شهداءه على الناس. ثم أخبر سبحانه – في آخر الآية – أنه لن يضيع إيمانهم ولن يبطل أعمالهم. وفي الآية ما يبين أن الصحابة ﷺ قد اختارهم الله تعالى لأن يكونوا شهداءه على الناس يحكمون عليهم بالخير أو الشر. وفي هذا إشارة لطيفة إلى قضية في غاية الأهمية غفل الناس عنها هي أن تعديل الصحابة وتجريحهم لا شأن للناس به، ولا حق لهم فيه. إنما ذلك إلى الله ورسوله دون سواهما. وذلك لسببين اثنين هما:

الأول : أن الصحابة هم شهود الله اختارهم بنفسه ليكونوا شهداءه على خلقه؛ فكيف يمكن لأحد أن يجرح شاهداً الله جل في علاه اختاره بنفسه ؟!! هذا محال .

والثاني : أن الصحابة هم الشاهد والناس هم المشهود عليهم ، وليس العكس . والمشهود عليه لا يقبل طعنه وتجريحه في الشاهد العدل . بل ذلك دليل على بطلان دعواه وقيام الحجة عليه.

١-الصحابة خيرة هذه الأمة وكل أمة :

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

خاطبت هذه الآية صحابة رسول الله رضوان الله عليهم تبشرهم بالخيرية المطلقة على كل الأمم لقيامهم بما أمرهم الله تعالى به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله . وإذا كانت الآية بعمومها تشمل أمة محمد ﷺ جميعا فإن هذه الأمة لم تكن عند نزول الآية إلا جماعة الصحابة حصرا . وإذن فالصحابة ﷺ هم ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ بشهادة أحكم الحاكمين وأصدق القائلين ؛ إذ هم أول المخاطبين بها ، وعليهم نزلت ، وفي صلواتهم تلاها رسول الله ﷺ، ولا تزال تتلى إلى يوم القيامة . وعلى هذا الأساس فإن الذي يطعن في الصحابة إنما يجعل ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ شر أمة أخرجت للناس ! فأي تخليط وباطل كهذا ؟!.

٢-السابقون الأولون :

قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

فقد أخبر الله تعالى أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فلم يبغضوهم أو يسبوهم ؛ إذ البغض والسب يناقض الاتباع بإحسان الذي هو شرط رضى الله عمن جاء من بعدهم

كما قال تعالى وهو يذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٣-المهاجرون والأنصار :

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤] . فهذه شهادة من الله العليم الخبير على حقيقة إيمان المهاجرين والأنصار وأنهم مؤمنون حقا ظاهرا وباطنا. فأي قول بعد قول الله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾؟ وبعد وعده لهم بالمغفرة والرزق الكريم الذي هو الجنة ؟

وإذا رجعنا إلى أول السورة لنقارن بين أوصاف المؤمنين المذكورة فيها، وبين أوصافهم في آخر هذه الآية علمنا أنهم هم المقصودون بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال:٢-٤] . (فالمؤمنون حقا) هنا هم (المؤمنون حقا) هناك. ولقد ذكر الله المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة من القرآن منها قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر ٨،٩] فخص المهاجرين بوصف (الصادقين)، والأنصار بوصف (المفلحين) .

٤-المهاجـرون:

قـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨]. في هـذه الآيـة الكريمـة يمـدح الله تعـالى المهاجرين، ويشهد لهم بصدق نواياهم، وأنهـم إنـما خرجـوا يرجـون رحمـة الله لا يرجـون غيره. ولقد ذكر الله المهاجرين في آيات كثيرة وشهد لهم بحسن الخاتمة والثواب العظيم في الآخرة كما في (سورة النحل) إذ يقول :﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل:٤٢،٤١].

وما أروع ما وصفهم به في أواخر سورة (آل عمران) إذ يقول: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ * رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ *فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩٥] .

٥-الأنصار:

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣]. هذه الآية نزلت في الأنصار (الأوس والخزرج) حين حاول بعض اليهود أن يحرش بينهم مستغلا العداوات الماضية فأوشكوا أن يتقاتلوا فأنزل الله تلك الآيات من سورة (آل عمران) آمرا إياهم بالاعتصام بحبله وترك التفرق، ومذكرا بنعمته التي أصبحوا بها إخوانا بعد أن كانوا في الجاهلية أعداء يقتل بعضهم بعضا ، وأنه أنقذهم من النار، ومن أنقذه الله من النار فهو في الجنة قطعا .

٦-أهل بدر :

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٣].

معركة بدر الكبرى أولى معارك الإسلام سماها الله بـ(يوم الفرقان)، وأنزل في حقها وحق أهلها سورة الأنفال بكاملها. قال سبحانه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال:٤١] لأنها فرقت بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله تفريقا واضحا لا يخفى على أحد؛ إذ كيف تم لهم هذا النصر وهم – كما وصفهم الله تعالى – (أذلة) قليلون في العدد والعدة دون تأييد السماء. ولهذا خاطبهم تعالى فقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:١٧]. فالله هو الذي تولى نصرهم بنفسه، ولولا ذلك لما كان لهم بالنصر على المشركين طاقة.

إن هذا التفريق المبين والنصر العظيم لا يمنحه الله إلا لمن صدقوا في دينهم فنصروا ربهم فاستحقوا بذلك إنزال نصره عليهم كما قال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠] فالله جل شأنه لا ينصر إلا من ينصره. من هنا سمى الله يوم بدر بـ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ لأنه فرق بين الله وحزبه، وبين الشيطان وحزبه تفريقا ظاهرا لا يماري فيه إلا هالك كما قال تعالى: ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٢].

ولقد ثبت في الصحيحين قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم**» فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. وثبت في صحيح مسلم وغيره أنه لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا».

فبالله كم من فضل لأهل بدر في أعناق المسلمين ؟! أولئك الذين بهم نصر الله الدين وأقام الملة، وبهم أوصل الحق إلى أهل الأرض. فجزاهم الله خير الجزاء، هو القائل عنهم: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال:٩-١٠] .

٧-تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم :

قال تعالى بعد الآيات السابقة مباشرة: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[الأنفال: ١١،١٢].

وإذا كان الله تعالى قد أنزل في أهل بيت نبيه ﷺ قوله: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] فقد أنزل في أهل بدر الكلمات نفسها إذ يقول: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[الأنفال:١١].

٨-آيات أخر في أهل بدر :

قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٤]. و(المؤمنون) المذكورون هنا الذين أيد الله بهم نبيه هم أهل بدر: الأنصار والمهاجرون لا غير. وقد كان بين الأوس والخزرج وهم الأنصار خصومات وحروب وعداوات وثارات فأذهب الله ذلك عنهم، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا متآلفين: يحب بعضهم بعضا وينصر بعضهم بعضا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[الأنفال:٧٢].

فأثبت الولاية والنصرة بين المهاجرين والأنصار بعضهم لبعض. وهذه الآية لا تزال تتلى إلى يوم القيامة، فمن ادعى أنهم كانوا متعادين متباغضين فقد كذب الله في قوله وخبره، وعارضه في حكمه وأمره.

٩-أهل أُحد:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران:١٢٤-١٢٦].

وقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ * فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦-١٤٨]. وما حسن ثواب الآخرة إلا الجنة.

وإذا كان أهل أُحد بهذه المنزلة فقد أخبر الله تعالى أنه عفا حتى عن الذين تولوا منهم حين باغتهم المشركون من خلفهم فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٥٥]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وأمر الله نبيه ﷺ بالاستغفار لهم، والعفو عما بدر منهم قبل المعركة وأثنائها فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وحين ذكر تعالى شهداء أحد أخبر أنهم ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران:١٧٠]. وهؤلاء هم بقية أهل أحد الذين ذكرهم بعد هذه الآية فقال: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧١-١٧٤].

١٠-أهل غزوة تبوك:

قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧].

قال ابن كثير ما ملخصه: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مجدبة وعسر من الزاد والماء. قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا فيشرب عليها فتاب عليهم وأقفلهم من غزوتهم ..

قلت : وكان المجهز لجيش المسلمين – وكانوا قرابة ثلاثين ألفاً – عثمان بن عفان ﷺ. وقد أخبر تعالى أنه تاب عليهم جميعا مع نبيهم عليه السلام وعلل ذلك بأنه بهم رؤوف رحيم. وإذا كان الله قد أخبر أنه بعموم الناس رؤوف رحيم، وبالمؤمنين كذلك فإنه خص المهاجرين والأنصار من أهل تبوك بهذا الرؤف وهذه الرحمة.

١١-أهل صلح الحديبية:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٤، ٥].

روى الإمام مسلم عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها». وعنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض اليوم» وكنا ألفا وأربعمائة. رواه البخاري. وكان في مقدمتهم الخلفاء الراشدون الأربعة. ويصدق هذا قول الله تعالى في الآيتين الماضيتين وغيرهما من آيات سورة الفتح التي نزلت خصيصا في حادثة صلح الحديبية الذي سماه الله بـ«الفتح المبين» كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:١٩،١٨]. وفيه يعلن تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسوله ﷺ تحت الشجرة. وقد تقدم ذكر عددهم وأنهم كانوا ألفا وأربعمائة، وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية. وقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة،﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ وهي الطمأنينة﴿ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ . قاله ابن كثير.

ولا يخفى ما فيه من تزكية صادرة ممن يعلم السر وأخفى لقلوبهم الطاهرة، وأنه اطلع عليها فعلم ما فيها من الخير الذي استحق إنزال السكينة والفتح والرضا كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٦]. فإن كان للتقوى أهل اختُصوا بها فهم أهلها وهم أحق بها من كل تقي. بذلك أخبرنا العليم الخبير، ومن أصدق من الله قيلا ؟



الخلفاء الراشدون

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

يذكر الله تعالى في هذه الآية أن شرط الاستخلاف والتمكين هو الإيمان والعمل الصالح وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستخلفهم الله في الأرض. ولقد تحقق هذا الوعد في حق أصحاب رسول الله ﷺ فاستخلفهم الله في الأرض ومكن لهم فيها وأبدلهم من بعد خوفهم أمنا. والتاريخ شاهد. فدل ذلك على أنهم حققوا الشرط فآمنوا وعملوا الصالحات. قال العلماء الثقات: (ومعلوم أن هذه النعوت العظيمة منطبقة تمام الانطباق على الصحابة زمن الخلفاء الراشدين فإنه إذا ذاك حصل الاستخلاف وتمكين الدين والأمن من بعد الخوف لما قهروا فارس و الروم وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وأفريقيا. وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان الراشدين ومن كان معهم في زمن الاستخلاف وتمكين الدين).

وبضدهم كان المنافقون؛ إذ كانوا أذل الناس وأكثرهم شعورا بالخوف كما قال الله تعالى في سورة (المنافقون): ﴿ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ ﴾! وكما قال عنهم في السورة نفسها: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨] فنفى عنهم العزة وأثبت لهم الذل والانكسار والخوف والتخفي كما قال عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [المنافقون:٢]. إلى آخر ما جاء عنهم في القرآن من ذلك، وهو كثير. ولم يكن كذلك الأصحاب ﭫ ، فدل – بما لا يدع مجالاً للشك – أن هؤلاء غير هؤلاء.

١-أولئك هم الراشدون:

وهذه آيات لا أستطيع – وأنا أقرأها- وصف أحاسيسي وموقفي من أصحاب رسول الله ﷺ ! كيف لي بذلك؟! وأنا أمام رجال تولى الله بنفسه تحبيب الإيمان إلى نفوسهم وتزيينه في قلوبهم، وكره إليهم كل ما ناقضه من الكفر والفسوق والعصيان، وأطلق عليهم ذلك اللقب العظيم: «الراشدون»، ثم عقب على كل ذلك مبيناً أنه (عليم) بمن هو أهل لذلك، (حكيم): لا يضع الفضل إلا في موضعه. فقال سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات:٧،٨].

٢-أبو بكر الصديق رضي الله عنه

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠)] .

٣-المعية في اللغة:

كلمة (مع) جاءت في القرآن الكريم عامة وخاصة. فالعامة : كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

وهي معية العلم الشاملة لكل الخلق مؤمنهم وكافرهم. أما الخاصة: فكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وهي معية النصر والحفظ والتأييد.

فالمعية العامة معية العلم وما في معناه، والخاصة معية التأييد وما في معناه. فالله تعالى مع الصابرين ومع المحسنين ومع المتقين دون غيرهم، ومع موسى وهارون عليهما السلام دون فرعون وهامان وجنودهما، ومع النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ دون أبي جهل ومن معه ممن كانوا يبحثون عنهما وهما في الغار، وإن كان سبحانه مع الجميع بعلمه. فالمعية الخاصة هي التي يكون لصاحبها المختص بها فضل وشرف دون المعية العامة.

٤-اعتراض وجوابه:

وأما قول من قال: إن الله قد قال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: (عليهما)، فهذا قول من لم يعرف لغة الناس: فإن الله عز وجل إنما قال ذلك في معرض الحديث عن النبي ﷺ بخصوصه: كيف أنه نصره إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين وأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها. فبدأ الآية بالكلام عن نبيه وحده فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ ولم يقل: (إلا تنصروهما)، وختمها بالكلام عن نبيه وحده فقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ﴾ لهذا لم يقل: (فأنزل سكينته عليهما وأيدهما) إذ المقصود بالكلام هو النبي وحده دون سواه. أما أبو بكر فقد جاء ذكره في الآية عرضاً لا أصالةً: إذ الآية في الأصل لا تتحدث عنه لا في بدايتها ولا في نهايتها:

فالضمير (الهاء) في (تنصروه ونصره وصاحبه وسكينته وعليه وأيده) كلها عائد إلى الرسول ولا دخل لأبي بكر فيه. وإذن خروج أبي بكر عن قوله في آخر الآية: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ﴾ كخروجه عن قوله في أولها: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠]، واختصاص الضمير بالنبي ﷺ في (عليه وأيده) هو كاختصاصه به في (تنصروه ونصره وأخرجه وعليه وأيده) سواء بسواء.

٥-أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها):

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم
مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ
عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ
ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا
تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ
مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن
يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ
يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾
[النور:١١-٢٦].

هذه الآيات العظيمة من سورة (النور) – وهي ست عشرة آية – كلها نزلت خصيصا في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتبرئتها من حديث الإفك، وأنها محصنة غافلة مؤمنة: من رماها وطعن فيها ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم. ويختم الله عز وجل هذه الآيات بوصفه لها بأنها طيبة زوجة الطيب فيقول: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ – بعد أن قال سبحانه: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ – ثم يشهد لها بالجنة فيقول: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. وهذا كقوله تعالى في بداية السورة: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وفي الآيات من القوارع الصاعقة، والوعيد – الذي يخلع القلوب – لكل من تكلم في أم المؤمنين عائشة، والتحذير لكل من عاد لمثله على مدى الأيام والدهور خصوصا إذا كان من الذين يدّعون الإيمان. كيف؟ وعائشة هي أم المؤمنين بنص قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]. وكيف يليق بمؤمن، أو يصح من أحد أن يطعن بأمه ؟ وهي من ذلك البيت الذي أراد الله تطهيره وإذهاب الرجس عنه؟ فلا يطعن فيه إلا من خرج من دائرة المؤمنين وأصبح من ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

٦–من مناقب أبي بكر رضي الله عنه

كان ممن خاضوا في الإفك رجل قريب لأبي بكر كان أبو بكر يصله وينفق عليه اسمه مسطح. فحلف أبو بكر أن يقطع صلته عنه فأنزل تعالى في ذلك قوله الشريف: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

فلما نزل ذلك رجع أبو بكر عن قوله وكفر عن يمينه وعاد إلى صلته لذلك الرجل الذي تكلم في ابنته، وقال: بلى يا رب إني أُحب أن تغفر لي. ووفى الصديق بالشرط فلا بد أن يفي الله له بما وعده به من المغفرة والرحمة والله لا يخلف الميعاد .



أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[الأحزاب:٦]. فأزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين بنص كتاب الله الصريح، فكل من كان من المؤمنين كان ابناً لهن وهن أمهات له. ومن هنا جاء التنزيل بحرمتهن على المؤمنين: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٣].

والولد ينفر – بفطرته وطبعه – أن يذم أمه أو يطعن فيها، ويأباه أشد الإباء. بل هو دائما وأبدا يدافع عنها ويذب عن سمعتها وعرضها. ورسول الله ﷺ أولى بنا من أنفسنا وأقرب إلينا من أبنائنا، وأزواجه أقرب إلينا من أمهاتنا وأولى بنا منهن.

وهذا ليس قياساً أو استنتاجا، إنما هو نص كتاب الله تعالى وحكمه. وكما أن دفاعنا عن رسول الله ﷺ يجب لذلك أن يكون أشد من دفاعنا عن أنفسنا وأبنائنا، فكذلك يجب أن يكون دفاعنا عن أزواجه أمهاتنا رضي الله عنهن.

هذا إذا كنا مؤمنين..

وأما إذا كنا غير ذلك – والعياذ بالله – فلسن هن أمهاتٍ لنا فقد يجوز لنا أن نتكلم فيهن، ولكن بعد أن نكون خارج دائرة الإيمان. فكل من سب واحدة من أمهات المؤمنين فليس بمؤمن لأن الولد لا يسب أمه، والمؤمن لا يسب أمهات المؤمنين .

فليتق الله مسلم وقع في ذلك جهلا منه وغفلة وانسياقا وراء الحاقدين على رسول الله ﷺ وأهل بيته، ولينزع عما هو فيه من الإثم العظيم قبل أن يأتيه الموت وهو على ذلك فيقول رب ارجعون.. ولكن هيهات هيهات فقد فات الأوان .

-آيات أخرى في أمهات المؤمنين:

منها قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا *يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا * وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا * يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا* وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا * وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[الأحزاب(٢٨-٣٤].

هذه الآيات البينات تخاطب أزواج النبي ﷺ، وما يهمني منها في هذا المقام جملة دلالات عظيمة هي:

١- شهادة الله بالتقوى لأُمهات المؤمنين:

ففي الآية دلالة لا تخفى على المتأمل على تقوى أمهات المؤمنين فقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها.

ولو لم يكن الأمر كذلك لكان النبي ﷺ قد طلقهن وسرحهن طبقاً للأمر الإلهي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾

وهذا لم يقع، بل الذي وقع شيء آخر معاكس تماماً هو تكريم عظيم وفخر جليل، ومنقبة راحت بها أمهات المؤمنين يتباهين بها على نساء العالمين؛ ذلك أن الله تبارك وتعالى لما رأى صدقهن في اختياره واختيار رسوله ﷺ ، وترك الدنيا وزينتها جازاهن بشيء هو فوق إقرار نبيه ﷺ على إبقائهن في عصمته وعدم طلاقهن وتسريحهن؛ ذلك أنه جل وعلا حرم بأمر سماوي صريح على نبيه أن يطلق واحدة منهن، كما حرم عليه أن يتزوج عليهن امرأة من بعد كائنةً من كانت فقال في السورة نفسها بعد عدة آيات: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب:٥٢].

وكونه تعالى قد قيد الأجر العظيم في الآيات السابقة بالإحسان لا يعني أنهن لم يكن محسنات، وإنما يذكر الله ما به يحصل الأجر ليفعلنه فإنهن بالإحسان حصلن عليه لا بمجرد كونهن أزواجاً للنبي ﷺ . كما أن وعيد الله لمن يأتي منهن بفاحشة مبينة بالعذاب المضاعف لا يستلزم وقوع ذلك منهن. بل ذكر ذلك أدعى لأن يبتعدن عنه، وتعليم لهن أن كونهن أزواجا للنبي لا يعطيهن ضماناً بالأمان من العذاب عند المعصية، بل ذلك أدعى لمضاعفته؛ فإن العبد كلما ارتقت منزلته كبرت هفوته. فيذكر الله ما به يستحققن الأجر وإن كن كلهن بهذه الصفة، وما به مضاعفة العذاب وإن كن كلهن مبرءات منه. ولولا ذكر ذلك لربما حصل اعتقاد خاطئ يجعل حصول الأجر واندفاع العذاب يترتب على مجرد كونهن أزواجا للنبي ﷺ، كما حصل هذا الاعتقاد الخاطئ لدى الكثيرين الذين يتوهمون حصول ذلك لمجرد القربى.

٢- أفضلية أمهات المؤمنين على نساء العالمين :

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ بيان لأفضيلة نساء النبي ﷺ على نساء العالمين. وإن كانت التقوى شرطاً لتسنم هذه المنزلة العالية فإن هذا الشرط حاصل كما بينا في الفقرة السابقة. ولم؟ وكيف لا ؟ ورسول الله ﷺ هو المختار: اختار الله له أعلى المنازل وأعظم المقامات وخير الأمم وخير الأديان وخير الكتب وخير الأصحاب وخير الأهل وخير الأزواج !

٣- التطهير وإذهاب الرجس عن أمهات المؤمنين :

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ هو خطاب لأزواج النبي ﷺ على الخصوص. وذلك بدليل السباق والسياق قبل الكلام وبعده: فإن الله تعالى قال قبله: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾، ثم عقب عليه قائلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ ، ثم قال بعده: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾.

وبدليل اللغة فإن (أهل بيت الرجل) و(أهل الرجل) في اللغة يطلق حقيقة على الزوجة. نعم قد يطلق على غيرها ولكن بطريق المجاز. يقول الراغب الأصفهاني في (مفردات ألفاظ القرآن) : أهل الرجل: في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب وتعورف في أسرة بيت النبي ﷺ مطلقا إذا قيل أهل البيت لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ وعبّر (بأهل الرجل) عن امرأته. و(تأهل) إذا تزوج ، ومنه قيل: أهلك الله في الجنة أي زوجك فيها وجعل لك فيها أهلا يجمعك وإياهم.

فالمعنى الحقيقي لأهل الرجل زوجته وأسرته أهل بيته، وإنما أُطلق على الأقارب مجازا. وبذلك ورد اللفظ في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص:٢٩] أي بزوجه فلم يكن معه غيرها. وقال عن لوط عليه السلام: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف:٨٣]. ولكون العربي لا يفهم لفظ (أهل الرجل) بمعزل عن امرأته فإن الله جلت حكمته لا يذكر قصة لوط عليه السلام في القرآن ويذكر فيها إنجاء أهله إلاعقب باستثناء امرأته منهم. وما ذلك إلا لكمال تطابق لفظ (الأهل) مع امرأة الرجل وزوجته في لغة العرب التي نزل بها القرآن.

٤- وجوب تلقي الأحاديث المروية عن أزواج النبي ﷺ بالقبول:

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ أمر من اللطيف الخبير لأمهات المؤمنين بوجوب ذكر ما ينزل في بيوتهن من آيات الله، وما يحدث فيها من أحوال النبي ﷺ وأقواله وهي (الحكمة)؛ لأن في ذلك تشريعاً لا يمكن أن تطلع عليه الأمة إلا عن طريقهن، وقد ائتمنهن الله عليه. ومن دون ذلك لا يمكن أن نتعرف على خصوصيات النبي ﷺ وما يحدث في بيته مما لا يمكن أن يطلع عليه غيرهن. ولا شك أن هذا لا يتحقق ولا يتم ولا يكون لأمره تعالى هذا من معنى على الواقع ما لم نتلق الأحاديث الصحيحة المنقولة عن طريقهن في كتب الحديث بالقبول والتصديق. وفي ذلك توثيق من الله تعالى لأزواج نبيه، وتعديل لا يمكن أن يرقى إليه جرح بأي حال من الأحوال.

وهل هناك أوثق ممن يذكره الله لعباده بالخير، ويشهد له بالتقوى، ويرشدهم أن يرووا عنه؟ ألا إنه من خالف ذلك فقد عارض المنقول وناقض المعقول وعصى الله وشاقق الرسول.

الصحابة كلهم في الجنة

قال تعالى موجهاً خطابه لأصحاب نبيه ﷺ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠].

وفيه يعدهم تعالى بالجنة جميعا: فإن الصحابة رضي الله عنهم منهم من آمن من قبل الفتح، ومنهم من آمن من بعده، وكلا الفريقين - وإن اختلفت درجاتهم - مشمولون بهذا الوعد والله لا يخلف الميعاد.

وفي الآية براءة لأصحابها من النار﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾. والحسنى هي الجنة والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠١].

وحين نستمر في قراءة سورة (الحديد) التي وردت فيها الآية الأُولى نجد الله سبحانه بعدها يقول: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢]، وهي كقوله في سورة التحريم ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨]. والصحابة رضي الله عنهم أحق الناس بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ﴾ لأنهم هم الذين كانوا معه صحبةً وإيماناً ونصرة، ولم تجتمع هذه الثلاثة لجيل سواهم. فمن قال عنهم أنهم بدلوا بعد موت النبي ﷺ، أو كانوا على عهده يظهرون غير ما يبطنون فقد كذب الله تعالى في حكمه وخبره.

أ-فوزهم بالتجارة الرابحة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

يعد الله تعالى المخاطبين بهذه الآيات - وهم الصحابة - بالمغفرة والجنة في الآخرة، وبالنصر والفتح القريب في الدنيا. لكن هذا الوعد المركب من هاتين الفقرتين مشروط بشرط هو القيام بأعباء التجارة التي لخص الله تعالى فقراتها باثنتين هما: الإيمان والجهاد. بمعنى أن أولئك الذين عرضت عليهم هذه الصفقة التجارية الواضحة الفقرات إذا وفوا ما عليهم من شرط (الإيمان والجهاد) فلا بد أن يوفي الله بما عليه تجاههم من وعد (النصر في الدنيا والجنة في الآخرة). ولا شك أن أجزاء العقد أو الصفقة المعقودة بين الطرفين متلازمة لأنها في طبيعتها غير قابلة للتفكيك: فالقتال بلا إيمان لا يحقق النصر لأنه قتال يجري باسم الله ، والله لا ينصر من لا ينصره. وإذا جئنا إلى القتال ننظر إليه نظرة مجردة أي من زاوية الأسباب فإنه يستحيل - بكل الحسابات - أن يتحقق النصر لذلك الجيل على تلك القوتين العظميين (فارس والروم) فضلاً عن القوى المعارضة في الجزيرة العربية دون تدخل الإرادة الإلهية التي يستدعيها الإيمان الحقيقي بالله ورسوله.

ولقد ثبت قطعاً أن الله حقق لهم وعده في جزئه الدنيوي - الذي تراه أعيننا - ألا وهو النصر والفتح القريب. وذلك مشروط بالإيمان والجهاد. فدل ذلك على أنهم قد وفوا بالشرط الذي طلب منهم، فلم يبق إلا أن يفي الله لهم بوعده في جزئه الأخروي -الذي سنراه ولا شك في ذلك- ألا وهو المغفرة والجنة لأن الله لا يخلف الميعاد.

ولا شك أن هذه الفتوحات العظيمة التي قام بها أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في مشارق الأرض ومغاربها ونشر الإسلام في الخافقين وانتصاراتهم المعجزة المتوالية على أمم الفرس والروم وتحطيم أكبر دولتين في العالم آنذاك لمن أكبر الأدلة على أنهم وفوا بما اشترطه الله عليهم من الإيمان والجهاد فوفى الله لهم بوعده فنصرهم على عدوهم ومكن لهم في الأرض . ولا بد أن يفي لهم ببقية ما وعدهم به فيغفر لهم ويدخلهم الجنة. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ؟!

ب-فوزهم بأربح صفقة في القرآن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١١-١١٢].

من هم هؤلاء (المؤمنون) المذكورون في هذه الآيات غير الصحابة؟ هم الذين بايعوا رسول الله على الموت في سبيل الله ، وهم الذين قاتلوا فقَتلوا وقُتلوا، وهم الذين تليت عليهم هذه الآيات، وهم الذين بشرهم النبي ﷺ بنفسه -وليس أحداً سواهم- حين وجه إليه الرب أمره فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (وبشر المؤمنين). فهم أحق الناس بخطاب المولى جل وعلا: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

ج-الصحابة (رضي الله عنهم) قدوة الأمم جميعا:

قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

في هذه الآية الكريمة فوائد جليلة منها :

- هذا الوصف الإلهي الرائع لحال صحابة رسول الله ﷺ، الذي استحقوا به أن يكونوا قدوة ومثلاً للسابقين من أهل الديانات الماضية؛ فقد كانوا يتلون أوصافهم ويقرأون في كتبهم أخبارهم قبل أن يخلق الله جيل الصحابة. وكما أن القدوة خير وأفضل من المقتدي؛ فهم كما أخبر الله فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾. فالصحابة قدوة السابقين كما هم قدوة اللاحقين.

- قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ إشارة إلى كفر من أبغض الصحابة وانزعج من ذكرهم. (ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه الحكم بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يبغضونهم ومن أغاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء). ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

د-التفريق بين الصحابة والمنافقين :

وذلك واضح لكل من قرأ القرآن وتدبره. انظر كيف يذكر المنافقين فيقول: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

ثم يذكر المؤمنين فيصفهم بعكس هذه الصفات فيقول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

والمؤمنون والمؤمنات هؤلاء - الذين هم ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ - ذكرهم الله في موضع آخر فعرفهم وسماهم فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٢]. فهم المهاجرون والأنصار.

وقد وعدهم الله بالجنة فقال - بعد الآية المذكورة في سورة التوبة والتي قال فيها ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ مباشرة - : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢] في مقابل وعده المنافقين بالنار إذ يقول: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٨].

فإذا علمنا أن سورة (التوبة) نزلت تعقيباً على غزوة (تبوك)، وقد فصلت دور أهل النفاق فيها وما كادوا به للنبي ﷺ والمسلمين، وما فضحهم الله به من بيان أوصافهم وأنهم كذا وكذا. ومن بين هذه الأوصاف أنهم ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ وتذكرنا في الوقت نفسه أن الجيش الذي ذهب في هذه الغزوة كان أبرز المجهزين له عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد بلغ تعداده قرابة ثلاثين ألفاً - علمنا مَن هؤلاء المؤمنون الذين ذكرهم الله فأثنى عليهم في هذه السورة؟ ومن هم أولئك المنافقون الذين (يقبضون أيديهم)؟.

وحين ذكر الله المهاجرين والأنصار في السورة نفسها، ووعدهم بالجنة، هم والذين اتبعوهم بإحسان فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] قال بعدها: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١] فهؤلاء غير هؤلاء.

ولقد ذكر الله تعالى مشهدا رائعا من مشاهد التفريق بين المؤمنين والمنافقين وذلك يوم القيامة فقال: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحديد:١٢-١٥]. وهو يشبه ما قاله سبحانه وهو يخاطب المؤمنين الذين آمنوا مع النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم:٨].

هـ- واجب الاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم:

قال تعالى وهو يذكر المهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم في معرض كلامه عن الفيء ولمن يكون: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:٨-١٠].

في هذه الآيات فوائد عظيمة منها :

- تزكيته تعالى للمهاجرين، وتسميته لهم بـ(الصادقين)، والأنصار وتسميته لهم بـ(المفلحين). فإن يكن في الأمة جماعة اختصت باسم (الصادقين) و(المفلحين) فهم المهاجرون والأنصار بنص كتاب الله.

والله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]؛ فنحن مأمورون أن نكون من أتباع (الصادقين) الذين هم المهاجرون على الخصوص، وإن كانت هذه الصفة تشمل كل من اتصف بها على العموم.

وإذا قارنا بين هذه الآية في سورة (التوبة) والآية التي قبلها من السورة التي يقول فيها تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة:١٠٠]

نجد أن أهل الجنة قسمان: المهاجرون والأنصار، ثم الذين اتبعوهم بإحسان. وهؤلاء هم الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]. فمن أراد أن يكون من أهل الجنة فعليه أن يتبعهم بإحسان، وأن يستغفر لهم كما أمر ربنا جل وعلا. وإلا فليعد للنار عدتها.

- أمر الله تعالى أجيال الأمة جميعاً بحبهم والاستغفار لهم. والاستغفار إنما يكون عن ذنب. وهذا يستلزم التغاضي عما وقع منهم من أخطاء أو ذنوب، والإمساك عما وقع منهم أو شجر بينهم، وإيكال أمره إلى الله ، لا أن يبحثوا ويستقصوا ويستزيدوا ويستنقصوا.. ثم يبغضوا ويسبوا ويشتموا ويلعنوا، فهذا مما لم يكلفهم الله به. بل نهاهم عنه وحرمه عليهم وجعله مما لا يعنيهم. أما الروايات والتواريخ فقد زيد فيها ونقص. وكثير منها مختلق لا أصل له وإنما هو من صنع الأهواء الفاسدة والأغراض المبيتة. والمسلم مأمور باتباع أحكام القرآن وتصديق كلام الله فكل رواية أو قصة ناقضت ذلك فعليه أن يضرب بها عرض الحائط ، ويردها على صاحبها لأن ما ورد في القرآن هو الحق الذي نقطع به بلا تردد، وما سواه يحتمل الصدق والكذب. فما ناقض الحق الوارد في الكتاب فهو باطل. والقرآن كلام الله قد قال كلمته الصريحة في صحابة رسول الله ﷺ . فكيف نترك الحق المبين والعلم اليقين إلى أقوال سطرها أناس لهم أهواء البشر وأخطاءهم وأوهامهم؟! وبين أيدينا كلام الرب الذي هو كما قال عنه ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق:١٣،١٤]. ألا إن الخير كل الخير لكل مسلم أن ينشغل بما كلفه الله به من الدعاء لهم والاستغفار لهم وسؤال الله تعالى أن لا يجعل في قلبه غلاً لواحد منهم. وأن يتذكر وصية الله تعالى فيهم وهو يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقد قال من قال من السلف الصالح حين سئل عما شجر بينهم من خلاف وحصل من قتال: (تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا) وتلا قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:١٣٤].

- بهذه الآية استدل الإمام مالك على منع الفيء عمن يسب أصحاب النبي ﷺ لأنها خصت الفيء بالمهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم على الحال التي ذكرتها الآية من حبهم والاستغفار لهم. فمن سبهم أو طعن فيهم فليس منهم.

و-النبي ﷺ نفسه مأمور بالاستغفار للصحابة:

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[آل عمران:١٥٩].

فهذا أمر من الله جل وعلا إلى رسوله ﷺ بالاستغفار لأصحابه في الوقت الذي نهاه فيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين في عدة مواضع من القرآن كما في قوله سبحانه عن المشركين: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]. وقال عن المنافقين: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المنافقون:٦].

وفي هذا براءة للصحابة من الشرك والنفاق. ولو كانوا كذلك لما أمره الله تعالى بالاستغفار لهم.

وبعـد ..

فهذا قول الله عز وجل وحكمه في صحابة نبيه ﷺ ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ ﴾ [الرعد:٤١]. فمن هذا الذي يعقب على حكم الله هذا في الصحابة فيحكم عليهم بنقيض حكمه ؟! وهل يتصور أن قول سيدنا علي رضي الله عنه في رفاقه وإخوانه غير ما قاله ربه جل وعلا عنهم في القرآن؟! وهو القائل عنه: «فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله» والله تعالى يقول: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢].

وهذا ما هدانا الله إليه في ذلك الكتاب.

فما عساه يكون قول سيدنا علي فيهم ؟ هذا ما سنراه في الصفحات التالية إن شاء الله ..



موقف سيدنا علي من الصحابة

هذه مقتطفات مما ورد عنه ﵁ في كتاب (نهج البلاغة) :

١- من خطبة له متذمرا من أصحابه ومقارناً بينهم وبين أصحاب رسول الله ﷺ :

(لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وآله فما أرى أحدا يشبههم (منكم) لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا ، وقد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء الثواب)

٢- من خطبة له ﵁ يخاطب فيها أصحابه:

(.. ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن

هو أحق بي منكم ، قوم والله ميامين الرأي ، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحق ، متاريك للبغي ، مضوا قدما على الطريقة ، وأوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة)

٣- (أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا ، وصفا صفا ، بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى ، مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين ، أولئك إخواني الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم) .

ومن كلام له ذاكرا حاله وحال الصحابة مع النبي ﷺ :

(ولقد كنا مع رسول ﷺ وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الألم وجدا في جهاد العدو ولقد كان الرجل منا وآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما رأى الله صدقنا أنزل في عدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقيا جرانه ومتبوئا أوطانه .

ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود ، وأيم الله لتحتلبُنَّها دما ولتتبعُنها ندما) [1].

فلو كان الصحابة على غير ما وصفوا به في هذا الكلام (ما قام للدين عمود ولا أخضر للإيمان عود).

٥- وقال ؓ في مدح الأنصار: (هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بأيديهم السباط ، وألسنتهم السلاط) [2].

٦- وقال ذاكرا عمر بن الخطاب ؓ :

(لله بلاء فلان ، فقد قوّم الأوَد وداوى العمَد خلف الفتنة وأقام السنة ، ذهب نقي الثوب قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها ، أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه) [3].

(١)١/ ١٠٤-١٠٥ .

(٢)ج٤ ص١٠٦ .

(٣)٢/ ٢٢٢ .

قال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة): (وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع (نهج البلاغة) وتحت فلان: عمر. وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي فقال لي: هو عمر فقلت له: أثنى عليه أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فقال نعم) [1].

٨ - وقال ذاكرا عمر بن الخطاب أيضا:

(ووليهم والٍ فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه) [2].

قال الميثم البحراني شارح (نهج البلاغة) : إن الوالي عمر بن الخطاب.

وقال ابن أبي الحديد: وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب. وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلة يذكر فيها قربه من النبي صلى الله عليه وآله واختصاصه به وإفضاءه بأسراره إليه حتى قال: (فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه ثم وليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه)

٩- ومن كلام له وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه :

(إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة. وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعد من الله، والله منجز وعده وناصر جنده . ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم تجتمع حذافيره أبدا .

(١)شرح نهج البلاغة - المجلد ٣ ص١٢ ج١٢ / عن الشيعة وأهل البيت ص٩٦ لإحسان إلهي ظهير .
(٢)٤/ ١٠٧ .

والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام وعزيزون بالاجتماع ، فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب . فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك . إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا : هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشد لكلَبهم عليك وطمعهم فيك . فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره . وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما نقاتل بالنصر والمعونة)[1].

فهذا كلام ناصح أمين ومحب شفيق على من استشاره، ومؤمن واثق بنصر الله ووعده وأن الله منجز لذلك الجند ما وعد لأنه (جنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع) (والله منجز وعده وناصر جنده) أولئك الذين (وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام و عزيز ون بالاجتماع). وبهذا يشير ﷺ إلى قوله تعالى وهو يخاطب الصحابة ﷺ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ [النور:٥٥] . ولقد صدق الله تعالى عليا ﷺ فيما قال لأن ما قاله هو ما وعد به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ نفسه (والله منجز وعده وناصر جنده) وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧٣]. فوفى لهم بما وعد، وحقق لهم الغلب، واستخلفهم في الأرض، ومكن لهم فيها، وأمنهم من بعد خوفهم، ونصرهم على كل عدو، وفتح لهم مشارق الأرض ومغاربها.

(١) ٢/ ٢٩ –٣٠ .

١٠- ومن كلام له وقد شاوره عمر بن الخطاب في غزو الروم بنفسه :

(وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت . إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلا مِحرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة ، فإن أظهره الله فذاك ما تحب وإن تكن الأخرى كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين) [1].

١١- وأختتم بذكر كتاب له إلى معاوية ذاكراً إخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه، وكيف عقدت لهم بيعة الخلافة بإجماع المهاجرين والأنصار الذين إذا أجمعوا على رجل وسموه إماما كان هذا الإجماع مرضيا من الله تعالى؛ لأن الشورى للمهاجرين والأنصار، فالطاعن في مثل هذه البيعة متبع غير سبيل المؤمنين وخارج عن أمر المسلمين، يرد إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على ذلك وولاه الله ما تولى. ولقد استدل على صحة خلافته وشرعيتها بصحة خلافة من سبقه من الخلفاء الراشدين فجعل خلافتهم أصلا يرجع إليه ويقاس عليه فقال:

(إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد . وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى) [2].

---

(١)ج٢ ص١٨ .

(٢)ج٣ ص٧.

كلمة أخيرة ونصيحة ثمينة

فهذا كلام الله جل وعلا في الصحابة ﷺ، وهذا كلام سيدنا علي ﷺ فيهم.. يشبه بعضه بعضا ويصدقه كما تشبه الساقية النبع إذا خرجت منه. فأما ما ينسب إليه مما يخالف ذلك فإنه باطل قطعا لا تصح نسبته إليه لأنه يناقض كلام الله، وحاشا سيدنا علياً أن يخالف كلام الله أو يعارض حكمه، فهو فقيه كتاب الله وربيب رسول الله منه تعلم العلم وعلى يديه أخذ الحكمة، ومحال أن يقول في إخوانه وأحبابه غير ما قاله الله فيهم أو يحكم فيهم بغير حكمه. بل هم جميعا كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح:٢٩].

هذا. وقد روى الكليني عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه». وعن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به؟ قال: (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ وآله وإلا فالذي جاءكم أولى به). وعنه: (كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف).

وأقول: لو رجع المسلمون جميعا إلى كتاب الله وتركوا ما خالفه، وتحروا عن كل قول أو عمل فأخذوا بما وجدوا له شاهداً فيه، وإلا ردوه على من جاء به لما بقي بينهم خلاف، ولا حصل بينهم شقاق. وعلى هذا فنحن ندعو إخواننا جميعا إلى الرجوع في كل شيء إلى كتاب الله، ونبذ ما خالفه مما سواه فهو كما وصفه الله تعالى فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، وقال: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

وأخيراً نسأل الله الهداية للجميع.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الكتاب